

لبنان في مرحلة ما بعد الانسحاب الإسرائيلي

بقلم الكولونيل شربل بركات

في قراءة سريعة لنتائج الانسحاب الإسرائيلي من الجنوب ، نرى وكأن لبنان الدولة قد كسب معركة مهمة فهو يبدو بأنه استطاع أن يستوعب ما سمي "بالمقاومة الإسلامية" أو "حزب الله" ويرده باتجاه "الوطنية" ، واستطاع أن يفرض على إسرائيل انسحابا بدون أدنى قدر من الضمانات ولا حتى الحديث أو التنسيق العلني ، وقد استطاع أيضا ، ظاهريا ، أن يمنع أي نوع من المجازر والانتقامات الطائفية والفئوية التي تخوف منها الجميع ، ما بدى وكأنه استوعب بالفعل حزب الله وتجاوزاته وأصبح بالإمكان التفاوض بمستقبل أفضل يستطيع فيه الانتقال من مرحلة الحروب الداخلية والخارجية إلى مرحلة السلم المنتظر .

ولكن البحث المتعمق في هذا الموضوع يخفف من هذا التفاؤل لا بل هناك إشارات ومواقف قد تنذر بالأسوأ في هذا المجال . فحزب الله الذي بدا "البطل القومي" و"المقاوم الوطني" لا يزال يرتبط ، تمويله الأساسي وأوامره الرئيسية وخطته الإستراتيجية ، بالسياسة الإيرانية المتطرفة ، وهي سياسة الإمام خامنئي الذي يحلم بالدور الرئيسي على المستوى الإسلامي العالمي تحت شعار تحرير القدس وفرض "الحضارة الإسلامية" ، إذا لم تكن "الشريعة" بكل ثقلها ، في الشرق الأوسط .

وبينما لم يظهر بعد الخط الجديد للسياسة السورية التي تعتبر الميزان الأساسي مع إيران في التحولات اللبنانية المستقبلية ، لأن الرئيس الجديد بشار الأسد لم يرشح عنه بعد أي موقف يلزمه بمسار محدد ، اللهم إلا ما فسره المراقبون من الهامش الذي أعطي للحريري وجنيلاط في الإنتخابات النيابية بأنه توجه نحو دفعة من الديمقراطية ورسالة للغرب بأن السياسة القديمة لن تكون نفسها في التعاطي مع الأمور في لبنان والمنطقة ما يعطي بعض التفاؤل . ولكن هل يستطيع الزعيم السوري الجديد أن يرسم سياسة مستقلة عن التطلعات الإيرانية في لبنان ، وسورية تدين لإيران بعاملين مهمين جدا ؛ الأول يتمثل بالنفط المجاني كدعم لسياساتها الحالية، والثاني الغطاء الإسلامي للنظام السوري الذي ظهر بعيدا عن الدين وقد حارب الإخوان المسلمين والتيارات الإسلامية ، ما عدا حزب الله الذي حصر نشاطه في لبنان .

وقد نصبح مستقبلا على محاولة جديدة للتيارات المتشددة الأصولية للسعي لكسر الجمود المسيطر الآن والذي يوحى بالقبول بالسلم كخيار استراتيجي كما يقول السوريون والعرب ، وهو ما لا يقوله الإمام خامنئي ، ما قد يجعل المنطقة تنور وتهوج مجددا في حال تجدد أي نوع من القتال .

وليست خطبة السيد نصرالله في "حفل تكريم الإعلاميين المرافقين للمقاومة" وكلامه عن "توازن الرعب" ، وحديث الإسرائيليين ، وخاصة ما جاء على لسان رئيس الأركان الجنرال "موفاز" من التخوف من تحضيرات لحزب الله لضرب مصالح إسرائيلية ، إلا إشارة أو "تبشير" بأن الأمور لن تذهب باتجاه السلم وهي تصب دون شك في خانة عدم التفاوض من مستقبل المنطقة والتحذير من تطورات قد تعيدنا إلى مسلسل العنف الذي تصوّر البعض أن لبنان قد خرج منه فعلا وأصبح يعد نفسه للتححرر من الهيمنة السورية وبدء عملية التفاهم الداخلي كمقدمة لعودة العمل باتجاه استعادة الازدهار الاقتصادي .

أولا يثبت ، مسلسل العنف الجديد الذي عاد إلى الساحة الفلسطينية الإسرائيلية والتصاعد السريع لحجم التحركات التي لا يستبعد أن تطل لبنان مستقبلا ، ذلك ؟..